

في البحث الصوتي عند السيوطي (ت 911 هـ)

عمار عبدالستار محمد

جامعة ديالى . كلية التربية / الأصمعي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على سبعة أحرف وخص به أمة محمد تخفيفاً وتيسيراً . والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعائه ، وتمسك به إلى يوم الدين .
ويعد :

يهدف هذا البحث الى دراسة البحث الصوتي عند السيوطي ، والكشف عن الافكار والآراء الصوتية التي وافق فيها وتابع من سبقه من العلماء ، وبيان مدى تقدم هذه الافكار واتساقها مع الدراسات الصوتية الحديثة . لقد درس السيوطي الصوت مفرداً فتحدث عن مخرجه وخصائصه ، كما تحدث عن وظيفته وعلاقته بالأصوات الأخرى داخل بنية الكلمة من حيث تألفه مع بعض الاصوات وتنافره مع الأخرى ، والتبدلات التي تجري بين الأصوات في إطار بنية الكلمة . وقد عرضت في هذا البحث آراء السيوطي ثم قارنتها بما توصلت اليه الدراسات الصوتية الحديثة من جهة وبآراء علماء العربية القدماء الذين سبقوه من جهة أخرى وتوصلت هذه الدراسة الى أنّ السيوطي قد سبق علم الأصوات الحديث في الكشف عن بعض الافكار الصوتية التي تعدّ نواة لبعض النظريات الصوتية الحديثة ، على الرغم من أنّ السيوطي لم يكن لديه الوسائل والامكانيات العلمية التي تتوفر لدى عالم الأصوات الحديث .

جهاز النطق ومخارج الحروف بين السيوطي والمحدثين :

أشار السيوطي إلى أنّ جهاز النطق عند الانسان يمتد من أقصى الرئة الى منتهى الفم (1) . وهذه المسافة تشمل الرئتين والقصبه الهوائية والحنجرة ، والتجاويف الحلقية ، والتجاويف الانفية ، والتجاويف الفموية ، واللسان ، واللثة ، والأسنان ، والشفنتين ، وهذا التصور ينسجم مع الدراسات الصوتية الحديثة التي قسّمت جهاز النطق إلى الاقسام الآتية :

1- الرئتان : ويقومان بدور المنفاخ الذي يدفع الهواء (الزفير) الى خارج الجسم ، فيستغل في إنتاج الاصوات اللغوية (2) . فالرئتان هما المصدر الأساسي في إنتاج الاصوات والكلام ، ويتم ذلك باستغلال الهواء المندفَع من الرئتين أثناء عملية الزفير ، حيث يعترض مجرى الهواء المندفَع من الرئتين بعض المقاطع في عدة أجزاء من جهاز النطق ، وهذا مايسبّب حدوث الصوت اللغوي .

2- القصبه الهوائية : وهي أنبوبة مكونة من عدة غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة تمتد من أعلى الرئتين الى بداية الحنجرة (3) . وهي ممرّ للهواء الذي يكون الصوت في الاقسام الاخرى من جهاز النطق .

3- الحنجرة : وهي كالصندوق المكوّن من عدة غضاريف يمتد بين القصبه الهوائية وجذر اللسان وتتكون من ثلاثة أجزاء :

أ- الغضروف الحلقي - ويشكل الجزء الاسفل من الحنجرة .

ب- الغضروف الدرقي - ويشكل الجزء العلوي من الحنجرة .

ج- الغضروفان الهرميان - ويقعان خلف الغضروف الدرقي وتتصل بهما الاوتار الصوتية (4) .

4- الوتران الصوتيان : وهما وتران متجاوران في الحنجرة على شكل شريطين من العضلات يتقابلان على قمة القصبه الهوائية ، وهما عند الرجال أطول منهما عند

النساء ، ولهما وظيفة هامة في النطق ، فاعذا أهتزا مع الصوت اللغوي كان الصوت مجهوراً وإلا كان الصوت مهموساً (5) .

5- **المزمارة** : هو الفتحة الواقعة بين الوترين الصوتيين في أعلى الحنجرة ، وتتشكل هذه الفتحة حسب طبيعة الصوت ، فإذا كان الصوت مهموساً كانت الفتحة في وضع انفتاح ، وإذا كان الصوت مجهوراً كانت في وضع فتح وإغلاق ، والصوت الناتج من هذه المنطقة يسمى مزمارياً أو حنجرياً كالهاء والهمزة (6)

6- **البلعوم** : هو الفراغ الواقع فوق الحنجرة وينتهي عند فتحتي الفم والانف ، وفي هذا الفراغ تنتج الاصوات البلعومية الاحتكاكية وبخاصة الاصوات الانفية (الميم والنون) التي تنتج من منطقة البلعوم الأنفي (7) .

7- **الحلق** : وهو التجويف الذي يقع بين الحنجرة وتجويف الفم ، ويشكل مخرجاً للاصوات الحلقية (ع ، ح ، غ ، خ) ، كما أنه يُعدُّ فراغاً رناناً لتفخيم بعض الاصوات مثل (ض ، ظ ، ص ، ط) (8) .

8- **التجويف الانفي** : يمتد من الحلق الى اللوزتين ويلعب دوراً كبيراً في إصدار الاصوات الانفية عندما يحدث إقفال تام في فراغ الفم مع السماح للهواء بالانطلاق عبر فراغات الانف دون أن يقوم الصمام بعزل الهواء الموجود في فراغ الفم عن الهواء المنطلق عبر الانف (9) .

9- **اللسان** : أهم أعضاء النطق ولأهميته سُميت اللغات به ، ويقسم الى (10) :
أ- أقصى اللسان : وهو الجزء المقابل للحنك اللين .

ب- وسط اللسان أو مقدمه : وهو الجزء المقابل للحنك أو مايسمى بوسط الحنك .
ج- طرف اللسان : وهو الجزء الذي يقابل اللثة ويسهم في نطق جميع الاصوات اللغوية .

10- **الحنك** : ويُقسم الى الأقسام الآتية :

أ- الحنك الصلب أو مايسمى بالغار : وهو الجزء الامامي من الطرف الخلفي .
ب- الحنك اللين أو الطبق : وهو الجزء الخلفي من الحنك الأعلى .

ج- اللهاة : وهي تركيب مخروطي الشكل يتدلى الى أسفل من منتصف الخد السفلي للحنك اللين في اتجاه المبلع وتسهم في إنتاج القاف (11) .

11- الشفتان : وهما من أعضاء النطق المهمة ويتخذان أوضاعاً في أثناء النطق ويؤثر ذلك في نوع الاصوات وصفاتها ويظهر هذا بوجه خاص في نطق الحركات ، ونطق الباء ، والفاء ، والميم (12) .

12- الاسنان : وهي من أعضاء النطق الثابتة ولها أهمية في نطق بعض الاصوات اللغوية ، فهي تساعد اللسان في نطق الدال والتاء والطاء ، وتشارك اللسان في نطق الثاء والظاء والذال (13) .

وبيّن السيوطي أثر جهاز النطق في إنتاج الاصوات اللغوية وذلك عن طريق إندفاع الهواء من الرئتين أثناء عملية التنفس ، ثم اعتراضه بواسطة المقاطع التي تقطعه وتجزئه ، فقال مبيناً هذه الكيفية : ((فان تركه سدى وغفلاً امتدّ وطال وإن قطعته تقطع وقطعوه وجزّوه على حركات أعضاء الانسان التي يخرج منها الصوت ، وهو من أقصى الرئة الى منتهى الفم ، فوجدوه تسعة وعشرين حرفاً لاتزيد على ذلك ، ثم قسموه على الحلق والصدر والشفة واللثة)) (14) .

وهو بهذا التصور يشير الى العوامل الاساسية لحدوث الصوت وهي :

1- وجود تيار هواء يندفع من الرئتين .

2- وجود ممر للهواء المندفع من الرئتين .

3- وجود اعتراض لتيار الهواء في نقاط مختلفة من جهاز النطق .

وهذا ماتؤيده الدراسات الصوتية الحديثة ، في بيان كيفية حصول عملية النطق

عبر القصبة الهوائية والحنجرة حيث يوجد الوتران الصوتيان ، فاءذا انفتح الوتران

الصوتيان اندفع الهواء الى الحلق ثم الى الفم وبذلك ينتج مايسمى بالاصوات

المهموسة . أما اذا كان الممر ضيقاً بين الوترين الصوتيين فاعنّ الهواء يعمل على

توتير الوترين الصوتيين فيهتزان ويحدث مايعرف بالاصوات المجهورة ، ثم يستمر

الهواء بالصعود الى الحلق والفم فينتج مايعرف بالاصوات الفموية ، أو الى الانف

فينتج الاصوات الانفية . وهذه الاصوات متنوعة لأنّ تيار الهواء كثيراً مايحصل له

اعتراض في نقطة ما من الجهاز النطقي فيتغير شكل هذه الممرات تبعاً لنظام معين ، وبذلك يصدر صوت على وفق أوضاع معينة تتخذها أعضاء النطق (15) .
لقد وزّع السيوطي أصوات العربية التسعة والعشرين على ستة عشر مخرجاً على وفق الاعتراضات التي تعترض مجرى الصوت في أثناء اندفاع الهواء في ممرات جهاز النطق

وقد تابع في ذلك سيبويه وهي :

- 1- أقصى الحلق للهمزة ، والالف والهاء وقيل الهمزة أولاً وقيل بعدها الهاء .
- 2- وسط الحلق للحاء والعين ، قيل هكذا وقيل عكسه .
- 3- أدنى الحلق للغين والحاء .
- 4- أقصى اللسان وما فوقه للقف .
- 5- ما يليه للكاف .
- 6- وسط اللسان للشين والجيم والياء .
- 7- أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس للضاد ، وهي من الأيسر أقيس ، وقيل تختص به ، وقيل بالايمن .
- 8- ومادون طرف اللسان الى منتهاه وما فوقه للآم .
- 9- ومادونه وما فوق الثنايا للنون .
- 10- ومادونه وفوق الثنايا وأدخل في ظهره للراء .
- 11- وما بين طرفه وأصول الثنايا للطاء والذال والتاء .
- 12- وما بينه وبين الثنايا للزاي والسين والصاد .
- 13- وما بينه وبين أطراف الثنايا للظاء والذال والتاء .
- 14- وباطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا للفاء .
- 15- وما بين الشفتين للباء والميم والواو .
- 16- ومن الخيشوم النون الخفيفة (العنة) (16) .

لقد اعتمد السيوطي تقسيم سيبويه لمخارج الحروف (17) ، الذي سار عليه معظم علماء العربية القدماء الذين جاءوا بعده .

ويختلف هذا التقسيم عن تقسيم المحدثين لمخارج الاصوات من حيث الترتيب وعدد المخارج ، فرتّب المحدثون مخارج الحروف من الشفتين وانتهوا بالحنجرة ، وجعلوا عدد هذه المخارج عشرة ، وهو الشائع في كتبهم (18) . ومنهم من جعلها أحد عشر مخرجاً (19) ، ومنهم من عدّها تسعة مخارج (20) .

ة لقد عدّ علماء العربية القدماء ومن بينهم السيوطي الهمزة والهاء من الأصوات الحلقية وهما في الحقيقة حنجريان (21) ، كما وزّع اللام والنون والراء على ثلاثة مخارج ، وهي عند المحدثين من مخرج واحد وهو اللثة (22) . وجعل مخرج الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس أي بعد مخرج الجيم والشين والياء ، أما المحدثون فقد جعلوها من الاصوات اللثوية الاسنانية (23) .

وقد يعود هذا الاختلاف في تحديد مخرج الضاد بين القدماء والمحدثين الى التطور الذي حصل في نطق هذا الصوت .

أما بقية المخارج فينتفق المحدثون مع القدماء ومنهم السيوطي في تحديدها وتحديد أصواتها ، وهذا يدل على نضج التفكير الصوتي عندهم على الرغم من اعتمادهم الملاحظة الذاتية في دراسة الاصوات .

صفات الأصوات :

ذكر السيوطي على نحو ما كان يذهب اليه علماء العربية من قبله مجموعة من الصفات لأصوات العربية (24) .

1- الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة :

إنّ معيار التمييز بين المجهور والمهموس عند القدماء يعتمد على قوة الضغط مع الاصوات المجهورة وضعف الضغط مع الاصوات المهموسة وعدم جريان النفس مع الاصوات المجهورة ، وجريانه مع المهموسة (25) ، فالاصوات المجهورة يصاحبها ضغط الهواء المندفَع من الرئتين على الاوتار الصوتية بسبب ضيق المسافة بين الوترين الصوتيين فينتج هذا الضغط اهتزازاً في الوترين الصوتيين . وقد

عرّف علماء اللغة المحدثون الاصوات المجهورة بأنها الاصوات التي يهتز معها الوتران الصوتيان (26) .

أما الاصوات المهموسة فيصاحب إنتاجها اتساع المسافة بين الوترين الصوتيين ولذلك لا يكون ضغط على الوترين الصوتيين ، ولذلك عرّف علماء اللغة المحدثون الاصوات المهموسة بأنها الاصوات التي لا يهتز معها الوتران الصوتيان (27) . ولم يشر السيوطي وغيره من علماء العربية القدماء الى ظاهرة ذبذبة الاوتار الصوتية وعدمها مع الاصوات لعدم معرفتهم بهذين الحبلين الدقيقين، ولكنهم وصفوا كيفية حدوث هذه الاصوات وصفاً لا يختلف كثيراً عن وصف المحدثين . وعدّ السيوطي صوتي القاف والطاء صوتين مجهورين لكن الدراسات الحديثة أثبتت أنهما مهموسات ، وقد يعود هذا الى تطور نطق هذين الصوتين ، كما عدّ صوت الهمزة مجهوراً وهو مهموس عند بعض المحدثين (28) .

2- الاصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة :

ذكر السيوطي أنّ الاصوات الشديدة هي الاصوات التي لا يجري فيها الصوت ، وأنّ الاصوات الرخوة هي التي يجري فيها الصوت ، وأنّ المتوسطة تكون بين الشدة والرخاوة (29) . وهذا ما تنبّه اليه علماء اللغة المحدثون فاعتبروا الاصوات الشديدة أصواتاً آنية لا يمكن ترديدها ؛ لأنها تنتهي بزوال العائق وانقطاع الهواء . أما الاصوات الرخوة فتكون استمرارية يمكن الاستمرار بنطقها دون انقطاع مادام هناك هواء في الرئتين (30) . وسمّى المحدثون الاصوات الشديدة أصواتاً انفجارية أو وقفية ، وأطلقوا تسمية الاصوات الاحتكاكية على الاصوات الرخوة (31) . أما الاصوات المتوسطة فهي الاصوات التي بين الشدة والرخاوة لأنها تحمل بعض صفات الشديدة وبعض صفات الرخوة ، وهذا الوصف لا يتفق مع حقيقة هذه الاصوات وكيفية حدوثها ، فلا يحصل أثناء النطق بها انحباس بل يمر الهواء بمجرد دون حصول أي انحباس ، إمّا لأنّ الهواء يتجنب المرور بمنطقة التضيق كما في صوت اللام ، أو لأنّ هذا غير مستقر كما في صوت الراء ، أو لأنّ الهواء

لايمر من الفم بل يمر من الانف كما في صوتي الميم والنون ، وهذه الاصوات (ل ، م ، ن ، ر) تعرف عند المحدثين بالاصوات المائعة (32) .

لقد ذكر السيوطي أنّ الاصوات المتوسطة هي (و ، ل ، ي ، ا ، ن ، ع ، م ، ر) (33) . وهو بذلك يخالف المحدثين فصوت الالف والواو والياء المديّتين أصوات صائتة لايعترض مجراها أي عائق ، وصوت اللام والنون والراء أصوات مائعة يتسع مجراها لمرور الهواء فيخرج حراً طليقاً ؛ لذلك فهي شبيهة بالحركات (34) . أما صوت العين فهو احتكاكي (رخو) يجري الصوت معه محدثاً نوعاً من الحفيف أو الاحتكاك ولايصاحب إنتاجه أيّ انحباس أو انفجار (35) . واختلف المحدثون مع السيوطي في صوت الجيم الذي عدّه شديداً ، واعتبره المحدثون صوتاً مزدوجاً أو مركباً ؛ لأنه يبدأ انفجارياً (شديداً) فينتهي احتكاكياً (36) كما اختلفوا مع السيوطي في صوت الضاد الذي عدّه السيوطي صوتاً رخواً وهم يرونه صوتاً شديداً أو انفجارياً ، وقد يعود هذا الاختلاف الى التطور الذي حصل لصوت الضاد ، فالضاد القديمة التي وصفها علماء العربية تكاد تكون انتهت في النطق الحالي ، وأصابها الكثير من التطور حتى أصبحت صوتاً شديداً (37) .

3- الاصوات المطبقة ، والمنفتحة ، والمستعلية ، والمستقلة :

يقابل الاطباق والانفتاح عند القدماء ومنهم السيوطي التفخيم والترقيق عند

علماء اللغة المحدثين فقد حدّد القدماء

الاصوات المطبقة بأنها أصوات يُطبق اللسان فيها على الحنك الاعلى عند النطق بها ، أما الاصوات المنفتحة فلا يطبق اللسان على الحنك الاعلى عند النطق بها ، والاصوات المطبقة عنده هي (ص ، ض ، ط ، ظ) . أما الاصوات المنفتحة فهي بقية الاصوات العربية (38) .

وحدد السيوطي والسابقين الاستعلاء والاستفال ، فالاصوات المستعلية يستعلي اللسان الى الحنك عند النطق بها ، أما الاصوات المستقلة فلا يستعلي اللسان عند النطق بها الى الحنك ، بل يستقل الى قاع الفم ، والاصوات المستعلية عنده (القاف ، الظاء ، الخاء ، الصاد ، الضاد ، العين ، الطاء) ، أما الاصوات المستقلة فهي

بقية أصوات العربية (39) . ويتفق المحدثون مع القدماء ومنهم السيوطي في تحديد هذين المصطلحين (40) .

4- أصوات الذلاقة والمصمتة :

حدّد القدماء أصوات الذلاقة وذكروا أنّها ((تتكون من ستة أصوات هي :
الراء ، واللام ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم . فاعنّ وردت كلمة رباعية أو
خماسية معرّاة من حروف الذلق ، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من
كلام العرب والاصوات الذلاقة تُنتج من طرف اللسان والهم ، وأما المصمتة فهي
أصوات صُمتَ عنها فلم تدخل في الابنية كلها (42) .

5- الصوت المكرّر :

يذكر السيوطي أنّ صوت الراء هو صوت مكرّر ؛ لتكرّرها عند النطق بها كأنّ
طرف اللسان يرتعد بها ، فكأنك نطقت بأكثر من حرف (43) . ويتفق المحدثون
معه في هذا فالراء عندهم ((صوت تكراري مجهور يتم نطقه بأن يترك اللسان
مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة
ضربات متكررة ، هذا بالإضافة الى حدوث ذبذبة في الاوتار الصوتية)) (44) .

6- الصوت الهاوي :

يفهم من تعريف السيوطي للصوت الهاوي أنّه صوت يُنتجَ دون أن يعترض
مجراه اللسان أو أيّ عائق فيخرج من الفم مع الهواء دون إعاقة أو اعتراض (45)
. وعدّ المحدثون الصوت الهاوي (الألف) بأنّه أحد أصوات المدّ التي تنتج عن
طريق مرور الهواء حراً طليقاً في أثناء النطق (46) ، وهم يتفقون بذلك مع
السيوطي ومن سبقه في تحديد الصوت الهاوي .

7- الأصوات اللينة أو أصوات العلة :

ذهب السيوطي الى أنّ أصوات العلة سميت بهذا الاسم لأنّ الاعلال والاقلاب
لايكون إلاّ في أحدها ، وهي عنده الالف ، والواو ، والياء المدّيّتين (47) .

إنّ هذه الاصوات تنتج دون اعتراض لمجراها ، وتعرف عند المحدثين بالطليقة (48) ، وحروف المد (49) ، وحروف العلة (50) ، والعلل أو الصوائت (51) ، أو الحركات (52) .

8- الصوت المهتوت :

وافق السيوطي العلماء القدماء في أنّ الصوت المهتوت هو صوت الهمزة ، وهو عصر الصوت ؛ لأن صوت الهمزة ((يعرض لها الابدال كثيراً فتتطم وتتكسر)) (53) ، وهذا خلط بين المستوى الصوتي والمستوى الصرفي لهذا الصوت . وهذه الصفة لاتوجد إلا في صوت الهمزة فهو صوت حنجري يصاحب إنتاجه إغلاق فتحة المزمار ، ثم فتحها فتحاً مفاجئاً (54) ؛ ولذلك يصاحب هذا الصوت ضغط وعصر على فتحة المزمار كي تفتح وينفجر هذا الصوت .

9- الصوت المنحرف :

ذهب السيوطي ومن سبقه من العلماء الى أن الصوت المنحرف هو صوت اللام لانحراف مخرجها الى مخرج غيرها (55) ، وهو وصف ينطبق مع الوصف الحديث لصوت اللام فسُمّي بالصوت الجانبي ، وهو يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الاسنان العليا مع اللثة حيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدها (56) . إنّ صفة الانحراف أو الجانبية في هذا الصوت تأتي بسبب مرور هواء الصوت من جانبي الفم أو أحد جانبيه ، فينحرف الهواء عن مجراه الرئيس في وسط الفم بسبب وجود عقبة أو تضيق في وسط الفم أو أثناء نطق هذا الصوت .

10- أصوات القلقة :

يرى السيوطي والقدماء أنّ أصوات القلقة هي الأصوات التي تشتد عند الوقوف عليها ، وهي : القاف ، والطاء ، والباء ، والجيم ، والذال (57) .

فأصوات القلقة لا تتضح ولا تبرز خارجها إلا بضغط خارجها ، وذلك بإضافة صويت إلى كل منها عند الوقوف عليها . وجميع هذه الاصوات شديدة أو انفجارية عدا صوت الجيم فهو مركب أو هو مزيج من الشدة والرخاوة (58)

11- أصوات الصّفير :

تابع السيوطي القدماء في تحديد أصوات الصفير وهي الصاد والسين والزاي ، وهي التي يصاحب إنتاجها صفير أو حفيف (59) وهذا وصف يتفق مع ماجاءت به الدراسات الصوتية الحديثة ، يقول برتيل مالمبرج : ((الصفير وهو كون الصوت شديد الوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج ، وهو وصف صادق على ثلاثة صوامت وهي السين ، والصاد ، والزاي)) (60) فالصفير صفة تصاحب هذه الاصوات نتيجة احتكاك الهواء بالمخرج وبالاسنان أثناء نطقها فتخرج من خارجها وكأنه يُصَفَّر بها .

خفة الاصوات وكثرة الاستعمال :

حاول السيوطي الربط بين ظاهرة الخفة وكثرة الاستعمال ، فرتب الاصوات أو الحروف حسب كثرة استعمالها ، وابتدأ بالواو والياء المديّتين لأتّهما من الاصوات الصائتة التي يسهل النطق بها ولا يعترض مجراها أي عائق وقد سماها الخليل بالأصوات الهوائية لأنه لا يتعلق بها شيء (61) . ثم الميم والباء والراء واللام والنون والتي تسمى بأصوات الذلاقة وتوصف بخفتها في النطق وسلاستها على اللسان . أما أصوات الظاء والذال والثاء فهي من أثقل الاصوات نطقاً وأقلها استعمالاً لأنّ النطق بها يتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الاسنان وهذا يتطلب جهداً عضلياً أكثر مما يصاحب إنتاج بقية الاصوات العربية (62) إن هذا الربط بين الخفة وكثرة الاستعمال الذي ذهب اليه السيوطي ينسجم ويتفق مع ما أثبتته الدراسات الحديثة ، فقد أثبتت دراسة علي حلمي موسى أنّ أكثر حروف العربية شيوعاً في معجم الصحاح هي : الباء ، والميم ، والراء ، واللام ، والنون . وأنّ أقلها استعمالاً الظاء ، والضاد (63) .

الحركات :

وافق السيوطي مَنْ قبله من العلماء فعَدَّ الحركات بعض الحروف فالفتحة بعض الالف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو (64) .

وقد تابع السيوطي ابن جني في عدد هذه الحركات فعَدَّها ست حركات وليس ثلاثاً ، فقال : ((ذهب ابن جني الى أن الحركات في ظاهر الامر ثلاث ، ومحصولها على الحقيقة ست ، وذلك أنّ بين كل حركتين حركة ، فالتى بين الفتحة والكسرة ، هي الفتحة قبل الالف المعالة نحو فتحة عين عالم وكاف كاتب ، كما أن الالف التى بعدها بين الالف والياء والتى بين الفتحة والضمة هي التى قبل الف الترخيم نحو فتحة لام الصلاة والزكاة ، وكذلك قام وقعد ، والتى بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل ، وسين سير فهذه الكسرة المشمة ضمّاً ، ومثلها الضمة المشمة كسرة ك نحو قاف النقيير ، وضمة عين مذعور ، وابن بُور ، فهذه ضمة أُشربت كسرة ، كما أنها في قيل وسير كسرة أُشربت ضمة)) (65) . أنّ الدراسات الصوتية الحديثة أيّدت هذا التصنيف للحركات إذ أشار برتيل مالمبرج الى أنّ بعض اللغات يكتفي بثلاث حركات ، وأكثر اللغات وسّعت هذا النظام بأنّ أضافت إليه درجات متوسطة ، واللغة العربية هي إحدى هذه اللغات التى وسّعت هذا النظام . وإن كان هناك خلاف في عدد هذه الحركات (66) .

لقد بيّن السيوطي أنّ الحركات من صنع المتكلم فالحرف لا يتحرك ، وإنّما المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان ، أو الحنك الذي يخرج منه الحرف فالضمة تنتج عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق والفتحة تنتج عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وكذلك الكسرة . أما السكون فيعني عدم الحركة (67) . وهذا ما أيّده الدراسات الصوتية الحديثة التى أشارت الى أنّ السكون يعني عدم الحركة (68) .

التماثل الصوتي :

عالج السيوطي هذه الظاهرة الصوتية تحت مايسمى بالاتباع ، والابدال ، والادغام . والمماثلة الصوتية مصطلح لغوي حديث يعني استجابة صوت لتأثير صوت آخر يلحقه أو يسبقه استجابة يسوغها قرب الصوتين في الكلمة أو الكلام وقربهما في المخرج أو في الصفات . والدافع في حصول هذه الظاهرة هو تخفيف المجهود العضلي فهو يرجع الى ((الاعصاب والعضلات وكيفية حركتها وذلك أن نتيجة التشابه أبداً تسهيل واختصار النطق)) (69) . فالهدف ((تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق)) (70) . فالاصوات في تأثرها تهدف الى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ، ويمكن أن يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة وتكاد تكون هذه الظاهرة شائعة بصفة عامة في كل اللغات (71) .

وتحصل المماثلة بين الصوامت والصوائت ، وقد تنبّه السيوطي الى هذين النوعين من المماثلة الصوتية وضرب أمثلة لكل منهما .

من أمثلة المماثلة الصوتية بين الصوائت (الحركات) (72) :

- 1- إتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها ، كقراءة من قرأ ((الحمد لله)) بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام .
- 2- إتباع حركة أول الكلمة لحركة آخر الكلمة قبلها كقراءة من قرأ ((الحمد لله)) بضم اللام إتباعاً لحركة الدال .
- 3- إتباع حركة الحرف الذي قبل آخر الاسم المعرب لحركة الاعراب في الآخر ، وذلك في امرئ وابنم ، فالراء والنون يتبعان الهمزة والميم في حركتهما نحو قوله تعالى : ((إن امرؤ هلك)) (73) . ونحو قوله تعالى : ((لكل امرئ منهم)) (74) . فتأثرت حركة الراء بحركة الهمزة ، فتحولت في حالة الرفع الى ضمة بسبب تماثلها مع حركة الهمزة .
- 4- إتباع حركة اللام للفاء في المضاعف من المضارع المجزوم والامر إذا لم يفك الادغام فيهما في بعض اللغات ، فيقال لم يعضّ ، وعضّ بالفتح فحركة لام الكلمة تتماثل مع فاء الكلمة (حركتها الفتح) .

5- إتياع حركة العين للفاء في الجمع بالألف والتاء حيث وجد شرطه ، مثل : تمرّة - تمرّات ، وسِدرة سِدِرات . ففُتحت وكُسِرت حركة عين الكلمة مماثلة لحركة فاء الكلمة .

أما التماثل الصوتي بين الصوامت فيتمثل عند السيوطي بما يلي :

- 1- إبدال الواو والياء تاء في صيغة افتعل ومشتقاتها ، نحو : اتَّعَدَ ، ومُتَّعِدٌ ، ومُتَّعِدٌ ، والاتَّعاد ، والاصل : اوتعد من الفعل وَعَدَ ، وكذلك انَّسَرَ ، وانَّزَرَ .
 - 2- إبدال التاء طاءً في صيغة (افتعل) ومصدرها ومشتقاتها إذا كان فعلها الثلاثي مبدوءاً بصاد أو ظاء ، نحو : اصطفى ، واضطر ، واطَّعن ، واضطلم ، وفي هذه الحالة تتأثر تاء افتعل وفروعها بالصوت المطبق قبلها فتتحول الى صوت يماثلها في صفة الاطباق وهو صوت الطاء (75) .
 - 3- تبدل الدال من تاء الافتعال الى دال ، أو ذال ، أو زاي ، نحو : اذَّانٌ ، واذَّكرٌ ، وازدانٌ ، وفي هذه الحالة يؤثر الصوت الاول في الصوت الثاني دون وجود فاصل بينهما ، فيتحول الصوت الثاني (التاء) الى الصوت السابق نفسه (76)
- المخالفة الصوتية :**

تناول السيوطي هذه الظاهرة تحت عنوان : اجتماع الأمثال مكروه ولذلك يُفَرِّق منه الى القلب أو الحذف أو الفصل (77) . وتعني المخالفة الصوتية في علم اللغة الحديث بأنها نزعة صوتين متشابهين الى الاختلاف ، مثل : قرّاط التي تحولت الى قيراط ، ودنّار الى دينار (78) . أو أن يعمد الى صوتين متماثلين تماماً في كلمة واحدة فيغير أحدهما الى صوت آخر ، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الاصوات المتوسطة أو المائعة ، وهي : اللام ، والميم ، والنون والراء (79) . وقد تنبّه السيوطي الى هذه الظاهرة الصوتية وضرب أمثلة عليها ، فمنها : قالوا في دهدهت الحجر : دهديت الحجر ، قلبوا الهاء الاخيرة ياءً كراهية اجتماع الامثال (80) . فأبدلت الهاء الثانية ياءً ؛ وذلك لصعوبة نطق الهاء مرتين في الكلمة نفسها . ومن أمثلة المخالفة أيضاً هنيّة وأصلها : هنيهة فأبدلت الهاء ياءً

كراهية اجتماع الامثال ، والحيوان من مضاعف الياء ، وأصله حيبان ، قلبت الياء الثانية واواً وإن كانت الواو أثقل ؛ وذلك كراهة اجتماع الامثال ، ومنها أيضاً دينار ، وديباج ، وقيراط ، وديماس ، وديوان ، وأصلها : دينار ، ودبّاح ، وقيراط ، وديمّاس ، ودوّان ، فقلب أحد حرفي التضعيف ياءً (81) .

كما بين السيوطي أنه يمكن التخلص من اجتماع المثليين هذا عن طريق الحذف كما في : ظلّلتُ ، ومَسَسْتُ ، وأحَسَسْتُ ، فيُقَال : ظلّنتُ ، ومَسْتُ ، وأحَسْتُ (82) . فالحذف هنا يكون مظهراً من مظاهر الخفة ، وتيسير النطق بحذف أحد المثليين .

ويمكن التخلص من الامثال المتوالية عن طريق الفصل بين الصوتين المتماثلين بأحد الاصوات الصامتة أو الصائتة ، نحو : إظهار أن بعد لام كي ، إذ دخلت على (لا) ، مثل : لئلا يعمل ، ووجوب ابقاء الياء والواو في النسب الى نحو شديدة وضرورة ، فنقول شديديّ وضروريّ فيفصل بين الصوتين المتماثلين بصوت آخر مخالف لهما لتيسير عملية النطق (83) .

الخاتمة

عرضنا في هذا البحث آراء السيوطي في مجال البحث الصوتي فقد استطاع علماء العربية القدماء ومنهم السيوطي تحديد ملامح النظام الصوتي للغة العربية ، الذي يقوم على تحديد جهاز النطق ومخارج الاصوات ثم بيان صفات هذه الاصوات ، وتآلفها أو تنافرها في إطار البنية اللغوية . فقد بين السيوطي أنّ جهاز النطق يمتد من أقصى الرئتين الى الشفتين ، وبذلك فقد سبق المحدثين في تحديد أعضاء جهاز النطق . ووزع حروف العربية على ستة عشر مخرجاً وفق المقاطع التي تعترض

مجرى الصوت ، وبذلك اتفق السيوطي مع سيبويه كما اتفق معه في تحديد صفات الاصوات كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والاستعلاء والاستفال والصفير والاطباق والانفتاح ، والذلاقة وغيرها من صفات الاصوات العربية . وبين هذا البحث أنّ السيوطي درس الاصوات حسب خفتها وحاول أن يجد رابطاً بين الخفة وكثرة الاستعمال اللغوي أو كثرة دوران الاصوات على اللسان ، فرأى أن أكثرها استعمالاً الواو ، والياء ، والهمزة ، والميم ، والباء ، والراء ، واللام ، والنون . وأقلها استعمالاً الثاء ، والذال ، والظاء . وبذلك يسبق الدراسات الصوتية الحديثة في تحديد أكثرها استعمالاً ، وأقلها استعمالاً . وتابع السيوطي ابن جني في أن الحركات ست وليس ثلاثاً وبهذا يتفق مع بعض علماء الاصوات المحدثين في أنّ معظم اللغات العالمية تتضمن ست حركات . وسبق السيوطي علماء اللغة المحدثين في تحديد ظاهرتي المماثلة الصوتية ، والمخالفة الصوتية وأعطى أمثلة لكل منهما .

هوامش البحث :

- (1) انظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها 36/1 .
- (2) انظر : دراسة السمع والكلام ص 97 ، والمدخل الى علم الاصوات ص 27 .
- (3) انظر : المدخل الى علم الاصوات (دراسة صوتية مقارنة) ص 27 .
- (4) المصدر نفسه ، ص 27-28 .
- (5) انظر : الاصوات اللغوية لمحمد علي الخولي ، ص 20 .
- (6) المصدر نفسه ، ص 20-21 .

- (7) انظر : المدخل الى علم الاصوات ، ص 28 ، ودراسة السمع والكلام ص 140-138
- (8) انظر : الاصوات اللغوية لمحمدعلي الخولي ص 21 ، وفقه اللغة لعبدالحسين المبارك ص78.
- (9) انظر : علم اللغة العام لكامل بشر (الأصوات) ص 71 ، دراسة السمع والكلام ص 150 .
- (10) انظر : علم اللغة العام لكامل بشر (الاصوات) ص 69 .
- (11) انظر : دراسة السمع والكلام ص 253-252 .
- (12) انظر : علم اللغة العام (الاصوات) لكامل بشر ص 71 .
- (13) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 25 .
- (14) المزهر في علوم اللغة وأنواعها 36/1 .
- (15) انظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص 111 .
- (16) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، 289-288/6 .
- (17) انظر : الكتاب 434-433/4 .
- (18) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 56-42 ، ومناهج البحث في اللغة ص 110 .
- (19) انظر : علم اللغة العام (الاصوات) لكامل بشر ص 90-89 .
- (20) انظر : دراسة السمع والكلام ص 21-20 .
- (21) انظر : الاصوات اللغوية لمحمد علي الخولي ص 32 .
- (22) المصدر نفسه ص 32 .
- (23) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 46 .
- (24) انظر : همع الهوامع 297/6 والكتاب 434-433/4 .
- (25) همع الهوامع 297/6 .
- (26) انظر : الأصوات اللغوية ، لابراهيم أنيس ، ص 119 .

- (27) انظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- (28) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 56 .
- (29) انظر : همع الهوامع ، 297/6 .
- (30) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 41 .
- (31) انظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، ص 118-119 .
- (32) انظر : علم الاصوات ، لبريتيل مالمبرج ، ص 113 .
- (33) انظر : همع الهوامع 290/6 .
- (34) انظر : علم الاصوات ، لبريتيل مالمبرج ، ص 80 ، 81 ، 113 .
- (35) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 81 .
- (36) انظر : همع الهوامع 297/6 ، وعلم الاصوات ، لبريتيل مالمبرج ، ص 114 .
- (37) انظر : العربية الفصحى ، ص 37 ، وعلم الاصوات لبريتيل مالمبرج ، ص 122 .
- (38) انظر : همع الهوامع 290/6 ، 297 ، وانظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص 38 .
- (39) انظر : همع الهوامع 290/6 ، 297 .
- (40) انظر : دروس في علم أصوات العربية ، ص 37 ، وانظر : علم الأصوات لبريتيل مالمبرج ص 117 .
- (41) العين 58/1 .
- (42) انظر : سر صناعة الاعراب 65/1 ، وهمع الهوامع 297/6 .
- (43) انظر : همع الهوامع 298/6 .
- (44) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 48 ، وانظر : أسس علم اللغة لماريوي

ص 86 .

- (45) انظر : همع الهوامع 298/6 .
- (46) انظر : في الاصوات اللغوية ، ص 24 .
- (47) انظر : همع الهوامع 290/6 ، 298 .
- (48) انظر : الوجيز في فقه اللغة ص 146 .
- (49) انظر : في الاصوات اللغوية ، ص 24 .
- (50) انظر : مناهج البحث في اللغة ، ص 108 .
- (51) انظر : دراسة الصوت اللغوي ، ص 113 .
- (52) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 91 .
- (53) همع الهوامع : 298/6 .
- (54) انظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 56 .
- (55) انظر : همع الهوامع 298/6 .
- (56) انظر : علم اللغة العام (الاصوات) لكمال بشر ، ص 129 .
- (57) انظر : همع الهوامع ، 290/6 ، 298 .
- (58) انظر : علم الأصوات لمالمبرج ، ص 114 .
- (59) انظر : همع الهوامع ، 299/6 .
- (60) علم الاصوات : ص 120 .
- (61) انظر : العين 58/1 ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها 195/1 .
- (62) انظر : التطور اللغوي ، ص 53 .
- (63) انظر : دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) ، ص 179 .
- (64) انظر : الخصائص 316/2 ، والاشباه والنظائر 184/1 .
- (65) الاشباه والنظائر 189-190/1 ، وانظر : الخصائص 120-121/3 .
- (66) انظر : علم الاصوات ص 26 ، 78-79 ، وانظر : الدراسات الصوتية عند علماء العربية

، ص 138 .

- (67) انظر : الاشباه والنظائر 207-205/1 .
 (68) انظر : دراسات في علم اللغة ، ص 179 .
 (69) التطور النحوي ، ص 33 .
 (70) دراسة الصوت اللغوي ، ص 331 .
 (71) انظر : الاصوات اللغوية ، ص 178 .
 (72) انظر : الاشباه والنظائر ، 15-13/1 .
 (73) سورة النساء ، آية (176) .
 (74) سورة النور ، آية (11)
 (75) انظر : همع الهوامع : 271/6 .
 (76) انظر : المصدر نفسه : 272/6 .
 (77) انظر : الاشباه والنظائر : 23/1 .
 (78) انظر : علم الاصوات ، ص 148 ، والاصوات اللغوية ، ص 152 ، ودراسة
 الصوت اللغوي

، ص 330 .

- (79) انظر : التطور اللغوي ، ص 37 .
 (80) انظر : الاشباه والنظائر : 23/1 .
 (81) انظر : المصدر نفسه : 24/1 .
 (82) انظر : الاشباه والنظائر : 24/1 .
 (83) انظر : المصدر نفسه : 86/1 .

المصادر والمراجع

- 1- أسس علم اللغة : لماريوباي - ترجمة : الدكتور أحمد مختار عمر - القاهرة ،
 1973م .

- 2- الاشباه والنظائر : للسيوطي (ت 911 هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 1984م .
- 3- الاصوات اللغوية : لإبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، 1979م .
- 4- الأصوات اللغوية : لمحمد علي الخولي ، مكتبة الخانجي ، ط 1 ، 1987م .
- 5- التطور اللغوي : لرمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ودار الرفاعي ، الرياض ، ط 1 ، 1982م .
- 6- التطور النحوي : لبراجشتراسر - أخرجه وصححه : الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة المجد ، 1982م .
- 7- الخصائص : لابن جني (ت 392 هـ) - تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تأريخ) .
- 8- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر) : علي حلمي موسى ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1973م .
- 9- دراسة الصوت اللغوي : لأحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1985م .
- 10- دراسة الصوت والكلام : لسعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة .
- 11- دراسات في علم اللغة : لكمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، 1969م .
- 12- الدراسات الصوتية عند علماء العربية : عبدالحميد الهادي ابراهيم الاصيصي - ط 1 ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الاسلامي - طرابلس ، 1992م .
- 13- دروس في علم أصوات العربية ، لجان كانتينو - تعريب : صالح القرماضي ، تونس ، 1966م .
- 14- سر صناعة الإعراب : لابن جني (ت 392 هـ) - تحقيق : الدكتور حسن هندايي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الاولى ، 1985م .
- 15- العربية الفصحى : لهنري فليش - تعريب وتحقيق : الدكتور عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية .

- 16- علم الاصوات : ليرتيل مالمبرج - ترجمة : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1988م .
- 17- علم اللغة العام (الأصوات) : لكمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، ط 7 ، 1980م .
- 18- العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) - تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980م .
- 19- فقه اللغة : لعبد الحسين المبارك ، طبع على نفقة جامعة البصرة ، 1986م .
- 20- في الاصوات اللغوية : لغالب فاضل المطلبي ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد ، 1984م .
- 21- الكتاب : لسبويه (ت 182 هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1982م .
- 22- اللغة بين التراث والمعاصرة : لعاطف مذكور ، دار الثقافة والنشر ، القاهرة ، 1987م .
- 23- المدخل الى علم الاصوات (دراسة صوتية مقارنة) : صلاح الدين حسنين ، الطبعة الاولى ، 1981م .
- 24- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : لرمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 1982م .
- 25- المزهري في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي (ت 911 هـ) - شرح وتعليق : محمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 1986م .
- 26- مناهج البحث في اللغة : لتمام حسان ، دار الثقافة ، المغرب ، 1974م .
- 27- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للسيوطي (ت 911 هـ) - نشر وتحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، 1980م .
- 28- الوجيز في فقه اللغة : لمحمد الانطاكي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، 1969م .